

العوامل النفسية للعنوسة وأثارها السلبية على الفتاة والمجتمع نظرة تحليلية للواقع الجزائري

أ/عمر حجاج
المركز الجامعي غرداية

أ/بلخير طبشي
جامعة ورقلة

يعتبر الزواج من أهم النظم الاجتماعية التي تحافظ على تواصل الأجيال واستمرارها لذلك اعتبرت العنوسة ظاهرة تعبر عن فشل المجتمع في التعامل مع الفتاة فرغم التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي جعلت المرأة عنصرا فعالا إلا أن الزواج مازال يحضى بنفس المكانة السابقة لذلك يعتبر تأخر الفتاة عن الزواج أو العنوسة جزء من ظاهرة الفشل الاجتماعي في التعامل مع الفتيات بشكل فيه مساواة وزرع الثقة في النفس والمسؤولية وتحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي .
و سنتناول في هذه المداخلة تحليل ظاهرة مناقضة للزواج و هي عنوسة الفتاة و التي سنتطرق من خلالها في لمحة وجيزة إلى أهمية الزواج في المجتمع و خاصة الجزائري ثم إلى تعريف العنوسة و أهم الاتجاهات المفسرة لها .
ونختتمها بتحديد العوامل المؤدية للعنوسة والنفسية بالخصوص، و أهم آثارها على الفتاة و المجتمع وبالتحديد المجتمع الجزائري.

1. أهمية الزواج

اهتمت كل المجتمعات بظاهرة الزواج و اعتبرته قيمة إنسانية تحفظ للفرد كرامته و بقاءه و يعتبر من أهم النظم الاجتماعية التي عليها المجتمع (كما أنه يكفل علاقة شرعية بين الرجل والمرأة في حدود

مايقره ويحدده المجتمع وفقا لعاداته وتقاليده وقيمه وقوانينه) (مصطفى الخشاب، 1981، ص 94) وتعتبر العنوسة ظاهرة تعكس تغير التركيبة الاجتماعية، فرغم تواجدها في المجتمعات القديمة إلا أنها لم تكن هذه الظاهرة تؤرقه بسبب تقديس الزواج وفرض عقوبات على من يبقى عازبا، فقد كانت الحضارة البابلية تنص وتقر على أفضلية موت الفتاة على حياتها وبقائها عانسا، وكانت تقاليد عشائر الأزتك تقضي بوجوب زواج الفتاة قبل سن 18 وكل من تخرج عن هذا التقليد يتم حلاقة شعرها لإذلالها وإهانتها.

أما كبار طوائف الهند كانوا يفرضون على كل من يزوج ابنته بعد بلوغها سن 12 شرب إفراز حيضها ويتوقف فقط عند زواجها فكان الآباء يعجلون بتزويج بناتهم.

وفي بلاد فارس لم تكن الدولة تشجع بقاء الفتيات عذارى لذلك سنت قانونا عرف بقانون الزواج الإيجباري يرغم كل أعزب على الاقتران عند بلوغه سنا معيناً (عبد الحكيم أسابيع، 2005 ص 16-17)

وفي عهد الملكة إليزابيث سنت بعض القوانين التي تحد من حرية العزاب والمشجعة على الزواج والإنجاب من خلال إعطاء المتزوجين بعض الامتيازات الخاصة وإعفاءهم من شغل بعض الوظائف (حسن الساعاتي ولطفي عبد الحميد، 1962، ص 31).

لقد شرع الإسلام الزواج لمقاصد سامية ولتحقيق غايات عظيمة واعتبره أسمى تشريع يميز الإنسان عن سائر المخلوقات ويحمي المجتمع من الانحلال عن طريق تحقيق الإشباع الجنسي تحقيقا مشروعاً كما أنه سبب لبقاء النوع البشري ووسيلة إيجابية لتحقيق الأمومة والأبوة وإقامة المجتمع المسلم، لذلك رغب الإسلام في الزواج وحث عليه القرآن الكريم في مواضع كثيرة ومصادقا لقوله تعالى «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يفتكرون» (سورة الروم الآية 21)

وقوله تعالى «وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم» (سورة النور الآية 32)

وفي قوله تعالى «والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون...» (سورة النحل الآية 72)

وبالمقابل نهى الإسلام عن منع أو صد المرأة عن الزواج وذلك في قوله تعالى «... فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن» (سورة البقرة الآية 128) والعضل في الإسلام هو منع المرأة من الزواج إذا تقدم لخطبتها من هو مناسب لها.

ولقد نهى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أولئك النفر الذين أراود الامتناع عن الزواج بغية التبتل والزهد في الدنيا (ألا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، والزواج سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني)، وقوله صلى الله عليه وسلم (إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الثاني) (رواه مسلم)

ويشكل الزواج أهمية كبيرة في المجتمعات العربية حيث يربي الشباب على تقدير الزواج وتنشأ الفتاة على اعتباره من أهم أهداف حياتها انطلاقا من ضرورته لتكوين الأسرة وتربية الأجيال بالإضافة إلى تحقيق المكانة الاجتماعية وإثبات الذات.

أهمية الزواج في المجتمع الجزائري

كان معظم السكان في المجتمع الجزائري قديما متمركزين في مناطق ريفية وأهم ما يميز نمط حياتهم هونظام العائلة التقليدية الكبيرة المتمثلة في الزوج والزوجة وأولادهما الذكور العزاب والمتزوجين والإناث غير المتزوجات، وغيرهم من الأقارب كالعم والعمة ويقيم هؤلاء جميعا في نفس المسكن ويشاركون في حياة اقتصادية واجتماعية واحدة يحكمها الأب الأكبر أو رب العائلة (مسعودة كسال، 1993، ص40)، وكانت البنت الشابة توجه منذ صغرها لتعلم المهارات المنزلية والإعداد للزواج الذي يعتبر من أهم اهتماماتها

واعتبر الزواج في العائلة التقليدية من أسهل ما يكون، فقد كان الشباب يتزوجون في سن مبكرة دون استشارتهم باعتبارهم قاصرين وباعتباره يتم داخل القرابة العائلية فكلما كان الزواج داخل العائلة الواحدة أو داخل النسق القرابي كلما ارتفعت قيمته (Radia toualbi, 1984, p49)، وكان الأولياء يشرفون على اختيار الزوجة التي تحسن القيام بالأعمال المنزلية ويمكن رفضها إذا لاحظوا أن المصاهرة غير ملائمة أو خارج النسق العائلي، وعلى هذا الأساس اعتبر الزواج ارتباطاً أسرتي الشابين أكثر من المقبلين على الزواج في حد ذاتهما.

واعتبر الزواج المبكر لكل العائلة وشرف لها أن تكون ابنتهم العذراء البالغة حديثا مطلوبة للزواج وإن ذلك يعني نجاح العائلة في تأدية رسالتها وتربية بناتها على أكمل وجه، واعتبر بالمقابل تأخر الفتاة عن الزواج أو "البائرة" مشكلة اجتماعية حقيقية ومخجلة لكل العائلة وكلما امتدت عزوبة الفتاة كلما ساد العائلة قلق وتوتر كبيرين وكلما قلت قيمة العائلة وسط الفريق الاجتماعي.

(Radia toualbi, 1984, p56)

العوامل النفسية للعنوسة وأثارها السلبية على الفتاة والمجتمع نظرة تحليلية للواقع

أ/بلخير طبشي- أ/عمر حجاج

الجزائري

وعداة حصول الجزائر على الاستقلال حصلت تغيرات اجتماعية واقتصادية جذرية وكانت أهم نتائجه دخول الفتاة ميدان التعليم بمختلف مراحل ومستوياته ثم خروجها إلى ميدان العمل الأمر الذي أسهم في تغيير مكانة المرأة اجتماعيا وثقافيا وأصبحت الفتاة تنتظر نظرة مختلفة إلى أولوية الزواج في حياتها بعد أن توسعت أفقها، وأوضحت ناديا كاشا (1979) "أن الفتاة الجزائرية أصبحت تولي أهمية كبيرة للتعليم مما ساعدها على إبراز معالم شخصيتها وجعلها أكثر انفتاحا على العالم الخارجي وأكثر مرونة في تغيير أفكارها ومعتقداتها، وتمكنت الفتاة إلى حد بعيد من التخلص من الضغوط الاجتماعية التي كانت تعيشها (دليلة كواش، 2005، ص63).

إن هذه التغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري كان لها الأثر الكبير في تغيير نموذج الزواج وأصبح تأخره حقيقة لا يمكن تجاهلها من سنة إلى أخرى، ويوضح الجدول التالي متوسط معدلات الزواج حسب السن والجنس:

السن	1960	1970	1977	1987	1998	2002
إناث	18.3	19.03	20.9	23.7	27.6	29.06
ذكور	23.8	24.4	25.3	27.7	31.3	33

ما يلاحظ من خلال الجدول هو ارتفاع معدلات الزواج من سنة إلى أخرى لاسيما لدى الإناث وقد بلغ هذا التأخر سبع سنوات بين سنتي 1977 و1998 إذ ارتفع سن الزواج الوسطي سبع سنوات من 20.9 إلى 27.6 بينما بلغ التأخر في سن الزواج الوسطي سبع سنوات من 1998 إلى 2002 ليرتفع في أربع سنوات من 27.7 إلى 29.6 ، وتبين هذه الإحصائيات أن سن الزواج في الجزائر عرف في ظرف أربعين سنة تأخرا بأحد عشرة سنة لدى الإناث وبتسع سنوات لدى الذكور، ويؤكد الديوان الوطني للإحصائيات هذه النتائج بالإشارة إلى وجود أربعة ملايين فتاة دون زواج رغم تجاوز سنهن 34 سنة وان 2.5% من الفتيات وصلن على العزوبة النهائية أي بلوغهن أكثر من 50 سنة مقارنة ب1.44% لسنة 1989 (الديوان الوطني للإحصائيات، 2002، ص8)

ويشير الديوان الوطني للإحصائيات إلى ارتفاع معدلات الإقبال على الزواج سنة 2002 ب 9% مقارنة بسنة 1999 غلا هذه السنة تبقى ضئيلة مقارنة بعدد العزاب الذي تخطى 18 مليون نسمة من التعداد العام للسكان وخاصة وأنه يمثل 60% من التعداد العام للسكان (الديوان الوطني

للإحصائيات، 2002، ص8) ومن هنا تشير هذه النتائج أنه رغم التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الحاصلة الآن الزواج مازال يحضى بأهمية بالغة وسط المجتمع.

تعريف العنوسة:

في القديم كانت الفتاة العانس هي الفتاة القبيحة التي لم تستطع أهلها تزويجها بكل إمكانياتهم، لكن الأمور تغيرت في الوقت الحالي ولم تعد العنوسة تقتصر على الفتاة القبيحة بل تعدتها إلى المتعلمة والمتقنة والعاملة والماكنة بالبيت في آن واحد ، ومن بين التعريفات التي أعطيت للعنوسة:

1- عرف فريدريك معتوق العنوسة أنها الإناث اللواتي تخطين سن الزواج العادي (فريدريك معتوق، 1993، ص59)، ما يلاحظ من هذا التعريف أنه لم يذكر المعيار الذي بموجبه يمكن اعتبار سن الزواج عادي أو غير عادي.

2- عرف سالم اليحيائي العنوسة بقوله "العانس من الإناث هي الفتاة البكر التي تجاوز سنها الثلاثون دون أن تتزوج أو المطلقة الأرملة اللاتي لم يدخل بهن، والانس من الرجال هو الشاب الذي تجاوز سنه الخامسة والثلاثون دون أن يتزوج أو الأرملة والمطلق قبل الدخول " يعرف عبد المنعم عثمان عبد الله أن الفرق بين الشاب والفتاة في المجتمع العربي أن الفتى في المجتمع العربي حل عنوسته لأنه بإمكانه الارتباط بمن يرغب من الفتيات ، لكن الفتاة لاتستطيع ذلك مع رغبتها في الزواج وتنتظر في بيت وليها من يتقدم لخطبتها.

4- من جهته محمد العثيمين عرف الفتاة العانس بأنها الكبيرة التي لم تتزوج وقد بلغت من الثلاثين إلى سن الأربعين وهذا مرتبط بالعرف (عبد المنعم عثمان عبد الله، 2005، ص64)

5- وتعرف عزة كريم العنوسة بأنها السن التي تصل إليها الفتاة دون زواج وذلك باختلاف المناطق، فالعنوسة في الريف تبدأ من سن الخامسة والعشرين لتدخل الأسرة في مرحلة القلق، لكن في المدن يبدأ القلق ابتداء من سن الثلاثين فأكثر (عبد الحكيم أسابع، 2006، ص14)

6- ويرى منصور رفاعي عبيد أن العرف السائد في المجتمع يعرف الفتاة العانس أنها الفتاة التي لم تتزوج ولم تعقد عقدة النكاح (منصور رفاعي عبيد، 2000، ص56)

من خلال التعاريف المقدمة يلاحظ أن لفظ العنوسة لا يقتصر على الفتاة فقط بل يشمل النساء والرجال ويمكن الاختلاف في التعاريف في تحديد سن العنوسة أو بدايتها رغم أن الاتفاق كان على

أنها تختلف باختلاف المناطق والأزمنة، ففي المناطق الريفية قد تعتبر من وصلت سن العشرين دون زواج عانسا لكن في الوقت الحالي مع انشغال الفتاة باهتمامات أخرى لم يعد الزواج أولوية بالنسبة لها وبذلك قد تصل إلى سن الخامسة والثلاثين أو الأربعين دون أن يطرح ذلك أي مشكلة بالنسبة لها أو المحيطين بها.

ويمكن الاستنتاج مما سبق أن العنوسة هي التأخر في الزواج المتعارف عليه في المجتمع التي تعيش فيه الفتاة وذلك يختلف من مجتمع لآخر، وحسب اعتقادي لا يجب اعتبار العنوسة ظاهرة سلبية قبل سن الخامسة والثلاثون لأن الفتاة كلما تقدم بها العمر كانت أكثر نضجا وقدرة على التعامل مع الرجال وأكثر قدرة على تحمل المسؤولية، كما أن سن الخامسة والثلاثين هو مؤشر على بداية التغيرات الفيزيولوجية والهرمونية والنفسية التي تحدث للمرأة.

أنواع العنوسة

تنقسم العنوسة كما ذكر عمر خليل إلى صنفين العنوسة الاختيارية والعنوسة الإجبارية أو الاضطرارية .

1- العنوسة الاختيارية: هي العنوسة الناتجة عن إرادة الفرد الذاتية في البقاء دون زواج دون الخضوع لأي ضغوط إذ يعتقد بعض الشباب أن الزواج يحد من حريته، وهذه العنوسة ناتجة عن افتتان الفرد بجماله ورشاقته أو تخوفه من تحمل المسؤولية.

2- العنوسة الإجبارية: هي العنوسة الناتجة عن ضغوط قاهرة دفعت إلى حالة اللزواج، وقد اتخذت هذه الضغوط النهج الآتية:

أ- النهج الديني: ترتبط العنوسة في هذا النهج بالعقيدة الدينية بسبب بعض الممارسات الدينية المبنية على الاعتقاد بدنس عملية الجماع، لذلك كانت العنوسة مفروضة على كبار الكهان وعلى بعض النساء اللواتي نذرن أنفسهن للآلهة كما جاء في الديانة المسيحية.

ب- النهج العصري: هذا النهج أفرزته متطلبات الحياة العصرية، فمواصلة الفتاة للدراسة ودخولها عالم الشغل أخر فكرة الزواج لديها بالإضافة إلى الحركات التحررية التي تطالب بخروج المرأة من الحياة التقليدية المحصورة بالزوج و الأمومة .

ج- النهج المعاشي: وذلك نتيجة لانتشار البطالة وارتفاع تكاليف الحياة وصعوبة الحصول على مسكن وتأثيث كل مستلزماته، وكذا عدم قدرة الشباب على الزواج بسبب غلاء المهور وارتفاع التكاليف اللازمة لمتطلبات العرس. (عمر معنى خليل، 1994، ص245-250)

المقاربة النظرية للعنوسة

حاولت بعض النظريات -رغم قلتها- وضع تفسير لظاهرة العنوسة، هذه النظريات تستند أغلبها على الأطر الاجتماعية والأطر الطبيعية.

1- نظرية سبنسر spencer:

ترتكز نظرية سبنسر (1940) في تفسير العزوبة على أن المرأة العاملة والمتعلمة تكون أقل اهتماما بالزواج والإنجاب ، ويؤكد سبنسر أن النساء اللواتي يشتغلن بعقولهن ولهن ثقافة عالية حصلن على تعليم عالي بالرغم من ظرف حياتهن الصحية والاقتصادية الحسنة فان اهتمامهن بالعائلة وتناسلهن يكون ضعيفا بسبب الإجهاد الذهني الذي يؤثر على تركيبهن العضوي.

وحاول سبنسر تأكيد صحة نظريته من خلال بحث أجراه في الولايات المتحدة الأمريكية (1940) على عينة من النساء غير المتزوجات في فئة الأعمار بين 45 و49 سنة لمعرفة أثر تعليم المرأة على قدرتها على الإنجاب بعد زواجها ،وتوصل الباحث إلى أنه "كلما ارتفع المستوى التعليمي للمرأة كلما قلت اهتماماتها بالزواج وتكوين الأسرة ، وكلما انخفضت قدرتها على الحمل والإنجاب"(حسن الساعاتي ولطفي عبد الحميد، 1962، ص74).

وقد نتفق مع حسن ساعاتي (1962) في نقده لنظرية سبنسر في وجود ارتباط بين ارتفاع المستوى التعليمي وخصوبة المرأة باعتبار وجود عوامل اجتماعية وصحية متعددة تفسر هذه النتائج ، وأهمها أن المرأة التي نالت قدرا كبيرا من التعليم واهتمت بحياتها العملية لوقت طويل لا بد أن تكون قد تجاوزت أهم فترات خصوبتها قبل زواجها.

2- النظرية الشعرية الاجتماعية لآرسين ريمون Arssine Remond :

يعرف آرسين ريمون نظريته في العزوبة بالنظرية الشعرية الاجتماعية ويرى أن الفرد يشبه الزيت في شريط المصباح فهو يميل إلى الصعود إلى أعلى مستويات أعلى بيئته الاجتماعية وأثناء عملية الارتقاء هذه يبتعد الفرد عن بيئته الطبيعية ويفقد نتيجة لذلك اهتمامه بالأسرة ويصبح أقل قدرة من الناحية الاجتماعية على الإنجاب ، فالساعي وراء التقدم وتحسين حاله يجد نفسه أكثر حرية إذا أخرج زواجه حتى لايشغله عما يسعى إليه .

إن الفرد - حسب النظرية الشعرية الاجتماعية- لا يستطيع أن يوفق بين عدة أدوار في آن واحد في حين أن الإمكانيات والقدرات النفسية والجسدية للأفراد تسمح لهم بالنجاح في العمل دون التنازل عن دوره الاجتماعي في تكوين الأسرة.

3- نظرية الاكتساب الاجتماعي:

ترتكز نظرية الاكتساب الاجتماعي على تأثير المجتمع في الأدوار الجنسية التي ينشأ عليها الفرد منذ الصغر ، فالتربية الاجتماعية تجعل التمييز بين الجنسين يبدأ في الظهور في سن مبكرة جدا وبالوصول إلى مرحلة المراهقة تظهر الأدوار الجنسية في كل من السلوك والاهتمامات والميول أو الاختيارات المهنية "وتحدد عملية التنشئة الاجتماعية هذه الفروق فمعظم الثقافات تربط دور المرأة بتقديم الخدمات والرعاية ويقوم الرجل بدور الحماية"(عبد الرحمن العيسوي،2004،ص33)، ويعتمد المجتمع على تعليم الطفل منذ تنشئته الأولى السلوك والعادات واكتساب السمات التي تتفق مع جنسه لتحسين فرصه في التكيف والتوافق والانسجام مع المجتمع.

وتتعلم الفتاة حسب نظرية الاكتساب الاجتماعي الدور المخول لها القيام به والمتمثل في الزواج وإنجاب الأطفال والسهر على راحة عائلتها، ففي سن الشباب تتعهد المرأة بمسؤولية رعاية الأطفال والعناية بهم ، وفي متوسط العمر بتوفير الهدوء في الجو العائلي حتى وإن كانت لديها اهتمامات أخرى وإذا لم تتمكن المرأة من تحقيق هذا الدور فإنها تلقى النبذ من طرف الفريق الاجتماعي ، أي لا تكتسب الفعالية الاجتماعية إلا بالزواج.

ويذكر عبد الرحمن العيسوي (2004) في أبحاثه أن المرأة تعيش الانتقال في سن الثلاثين وان معظمهن لهن أولويات وأهداف مهنية لكن تأتي بعد الزواج والإنجاب "فالزواج والحياة الأسرية يمثلان أهمية كبيرة في حياة المرأة النفسية والاجتماعية والجسدية والاقتصادية ،ويوفر الزواج النجاح قدرا كبيرا من الإستقراروالحماسة والإشباع العاطفي الجنسي" (عبد الرحمن العيسوي،2004،ص44)ويرتبط ذلك بتمتع المرأة بالنظرة الايجابية مقارنة بالفتاة العانس.

وتوضح نظرية الاكتساب الاجتماعي أن أحلام المرأة وطموحاتها تكون أكثر تعقيدا ويتمثل الصراع بين أهدافها الشخصية وواجباتها والتزاماتها نحو الآخرين ،ويعتبر سن الثلاثين هو السن الذي ترى فيه الفتاة أنه مطلوب منها فيه أن تحقق قدرا من الاستقرار المرتبط بالزواج والإنجاب.

العوامل النفسية المؤدية للعنوسة

تعددت العوامل النفسية التي أدت إلى انتشار العنوسة والتي من بينها:

1- البحث عن الاستقلالية:

تمكنت الفتاة بفضل التعليم من الاعتماد على نفسها في معظم شؤون حياتها ودفع ذلك بعض الفتيات إلى الاعتقاد بأنهن في غنى عن الرجل وتحمل مسؤولياته وأعبائه المنزلية، هذا من جهة ومن جهة

أخرى تفوق الفتاة في العمل وزيادة دخلها المادي أكسبها الاستقلالية وأصبحت تجد متفرغا من خلال المظهر والعمل والنجاح وإنكار ذاتها في تكوين وضع اجتماعي فتعزف عن الزواج. وبالمقابل يرى فكري عبد العزيز (2004) استشاري الطب النفسي أن " بحث المرأة عن الاستقلالية والتفوق زاد من الاختلاط بين الإناث والذكور وتواجههم معا في النوادي والعمل والجامعات ، وهذا الوضع جعل الفتاة تفقد سترتها وأصبحت بمظهرها وجوهرها مكشوفة نفسيا أمام الفتى، مما جعل بعض الشباب يفقد الرغبة في الزواج وتكوين أسرة" (عبد الحكيم أسابيع، 2006، ص119).

2- إصابة الفتاة بعاهة أو إعاقة:

تعاني بعض الفتيات من بعض العاهات أو الإعاقات التامة أو الجزئية أو بعض الأمراض المزمنة لكن هذه العاهة لا تنفي سلامة قواها العقلية أو النفسية أو القدرة على الإبداع أو ممارسة حياة عادية ، و قد يرى المجتمع عكس ذلك من أن الفتاة المعاقة لا تمكنها حالتها من الزواج و الإنجاب أو التكفل بأسرتها .

3- البحث عن الزوج المثالي:

قد تبالغ بعض الفتيات في وضع شروط و مواصفات عديدة في كل شاب يتقدم لخطبتها (الغنى، الوسامة و الجمال، الدرجة العلمية العالية ، العمل الجيد) و تتمادى الفتاة بذلك في رفض كل من لا يتماشى مع هذه المواصفات لأنه لا يتماشى مع أحلامها و مثلها العليا >> و تتحول تصورات الفتاة بمرور الوقت إلى عائق أمام زواجها لتجد نفسها على مشارف العنوسة (عبد الحكيم أسابيع ، 2006 ، ص : 126) .

«وقد تخاف الفتاة من الخطوة العاطفية التي يقتضيها الزواج مما يجعلها في قرارات نفسها تضع شروطا صارمة لمؤهلات الزوج وترفض كل من يتقدم لها» (عايدة الرواحية، 2001، ص97-99)

4- الخوف من الزواج:

إن معايشة الفتاة لبعض الصور الاجتماعية لحالات الطلاق أو الصراع الدائم بين الوالدين يعطيها إحساس بفشل حياتها الزوجية مسبقا ، وبذلك تتصرف الفتاة عن الزواج وتفضل العزوبية والعنوسة .

5 الاعتداء على الفتاة في الصغر :

قد تتعرض الفتيات في الصغر للاغتصاب مما يترك في نفسياتها أثرا سلبيا ويعتبر ذلك من أهم العوامل التي تدفع الفتاة للعزوف عن الزواج إما « للصدمة والتجربة الأليمة المعاشة أو الخوف من الفضيحة إذا اكتشف الزوج عدم عذريتها » (عبد الله ناصح علوان ، 2002 ص 333) .
« وتؤكد دراسة ديفيديوس devidioss (1992) وجود علاقة واضحة بين محاولات الانتحار والتعرض لاعتداءات جنسية في سن مبكرة ، كما تعيش الفتاة الكآبة والعزلة والانطواء » (عبد المنعم عبد الله ، 2005 ص : 342) .
إن الحالة النفسية التي تعيشها الفتاة تدفعها إلى رفض الزواج وتفضيل العنوسة دون أن تذكر للمحيطين بها سبب قرارها .

الآثار السلبية للعنوسة على الفتاة والمجتمع

لقد شرع الله سبحانه وتعالى العلاقات الزوجية بين الأفراد لتحقيق النفع للزوجين وحماية الأسرة وتعميم الخير على المجتمع كله بينائه والعمل على استقراره ، فالإنسان المتزوج فرد يعيش لنفسه ولغيره ويسعى لتحقيق التوازن .

ويرى بعض الباحثين في علم النفس وعلم الاجتماع أن العنوسة تترك آثارا سلبية على الفرد والمجتمع ويؤدي إلى تحطيم الفتاة إذا لم تكن هذه الأخيرة ذات إيمان وعزم وصلابة في مواجهة الأفكار السلبية المحيطة بها . ومن بين الآثار المتعددة التي تتركها العنوسة على الفتاة والمجتمع هي :

1- الآثار الاجتماعية:

1.1 التسرع في الزواج :

قد تتعرض الفتاة العانس لقمع يمارس ضدها بحجة إنها بحاجة إلى حماية من كلام الناس ونظرة المجتمع إليها ومراقبتها حتى لا تتحرف لبعض السلوكات السلبية ، قد يحد الوالد أو ولي أمرها من حريتها وتحاول الفتاة العانس أن تتجاوز واقعها وضغوط الأسرة والتخلص منها بكل الطرق مما يجعلها تقبل بأي عرض يتقدم لها دون الأخذ بعين الاعتبار مسألة التكافؤ كما تقبل بالزواج العرفي أو المنقوص الحقوق .

1.2 ضعف الروابط الأسرية والاجتماعية:

من الآثار السلبية للعنوسة تذبذب الروابط الاجتماعية التي تجعل الأفراد في تعان وانتشار المشاكل داخل الأسرة نتيجة لتقاذف أفرادها المسؤولية عن عنوسة الفتاة ، كما أن انشغال كل فرد من أفراد الأسرة بمشاكله وحياته الخاصة يجعل الفتاة العانس تبحث عن يهتم بها مما قد يؤدي إلى انحرافها . (عبد الحكيم أسابيع 2006 ، ص: 126) .

2- الآثار الأخلاقية:

2-1 الانحراف الأخلاقي:

تحتاج المرأة في مراحلها المختلفة إلى الأمان النفسي وتهئية الجو الذي يحتوي مشاعرها، فطبيعتها الإنسانية تجعلها تلمس العاطفة وتحرص على بذلها وطلبها في الوقت نفسه.

وتوصلت دراسة محمد بن براهيم السيد (2005) إلى أن العنوسة تزيد من وطأة الحرمان العاطفي بـ 85 % لدى الفتيات العوانس وتحاول هذه الأخيرة التخفيف من مشكلتها بتلبية حاجاتها الغريزية وإشباع رغباتها الجنسية بالدخول في العلاقات غير شرعية كما أنها قد تتخلى عن بعض القيم والمبادئ التي كانت تعتبرها أساسية في حياتها وشخصيتها ،" ويشرح محمد غانم (2002) أن الفتاة تتوكل الغريزة الجنسية لديها أثناء فترة المراهقة وحينما تصل إلى سن الزواج دون أن تحصل عليها قد تدخل - مع نقص الوازع الديني- في علاقات غير شرعية أو الاتجاه إلى الجنسية المثلية، وكذلك قد تدفع الحاجة و ضعف الوازع الديني في العلاقات غير الشرعية أو الاتجاه إلى الجنسية المثلية ، وكذلك قد تدفع الفتاة العانس إلى البحث عن الغريزة العاطفية والجنسية في أماكن متعددة خارج الأسرة " (جريدة الرياض ، نايف آل زاحم ، 2006 ، ص: 19) .

لكن حسب اعتقادي لا يعبر الانحلال الخلقي الطريق الحتمي لهروب الفتاة العانس من واقعها وضغوط المجتمع أو التخلص من التوتر والقلق ،لأن ذلك مرتبط بشخصيتها وثقافتها وبمدى تدينها فإذا كانت الفتاة ذات شخصية ضعيفة تلجأ إلى الانحراف الأخلاقي لأنه باعتبارها أبسط الحلول وأنجعها ،أما إذا كانت تتمتع بشخصية قوية فإنها بمعزل عن ذلك لكنها تلجأ في الوقت نفسه إلى التنازل عن بعض المعايير والقبول بأي زوج يتقدم لها حتى إن كان غير كفاء مع ما كانت أساسيا من قبل ،أو تحاول تعويض ذلك ببعض النشاطات.

3- الآثار النفسية:

تؤثر الضغوطات الاجتماعية المتواصلة التي تتعرض لها الفتاة على حياتها النفسية مما يؤدي كما يذكر علماء النفس إلى ظهور بعض الأعراض المصاحبة والمتمثلة في :

1.3 كبت المشاعر:

تلجأ الفتاة العانس إلى كبت مشاعرها وعواطفها، مشاعر الرغبة في الزواج وتكوين أسرة ومشاعر الأمومة وهذا الكبت قد تكون له آثار سلبية كظهور بعض الاضطرابات الجسدية أو آثار نفسية إذ أنه يولد الألم والقلق لأن الكبت وإخفاء الميول بالقهر يخلف حالة من اليأس والكآبة، وتزداد هذه الآلام كلما اقتربت الفتاة العانس من سن اليأس الذي تعتبره مؤشرا ينذر بالخطر.

2.3. العزلة والانطوائية:

تتفاوت نظرة المجتمع نحو الفتاة العانس ما بين الشفقة والرحمة المفرطة والسخرية والسعي نحو حل مشاكلها والتخفيف من معاناتها دون جرح مشاعرها، «فملاحقة الأنظار للفتاة يشعرها بالكآبة ويجعلها تهروب من مواجهة الناس وتفضيل العزلة أو المصاحبة لمن هن في مثل وضعها لأن ذلك يعطيها إحساسا بأنها تعيش وضعاً غير طبيعي بالنسبة للمجتمع ككل» (عبد المنعم عبد الله، 2005، ص298)

3.3. العدوانية والحقد على الناس:

قد تلقى الفتاة العانس باللائمة على أسرتها التي لم تتصفها بتزويجها أو على رجال المجتمع الذين أعرضوا عنها فتتظن للمجتمع نظرة حقد وكراهية تعبر عنها في سلوك عصبي عدواني اتجاه أفرادها، وقد يتفاوت الأمر إلى التفكير العانس بالانتقام وإلحاق الأذى بغيرها من المتزوجات (عبد الحكيم أسابع، 2006، ص394)

4.3. التفكير في الانتحار أو الإقدام عليه:

قد تدخل الفتاة في عزلة تامة عن المجتمع بسبب الحزن والاكتئاب واليأس الذي يدفع بها إلى التفكير في الانتحار "وفي ظل زواج أخواتها الأقل سنا وضغوطات العائلة المتكررة واعتقادها أن لا أحد يشاركها معاناتها تلجأ إلى وضع حد لحياتها" (عبد المنعم عبدالله، 2005، ص298)

5.3. الإقبال على المشعوذين:

إن الوضع الطبيعي للفتاة في المجتمعات العربية هو أن تتزوج في سن معينة وعندما يتأخر زواجها عن هذا السن يظن المجتمع أن بها عيباً أو أخطاء كثيرة مما يجعل الشباب ينصرفون عنها وللخروج من هذه المشكلة يجعل أهل الفتاة يسعون إلى إتباع أي أسلوب يعجل من زواجها فيتجهون إلى السحرة والمشعوذين ويهملون الأسباب الأساسية التي جعلت ابنتهم تتأخر عن الزواج هذه الأسباب قد تكون داخل العائلة في حد ذاتها.

ومن بين العوامل التي تساعد على تردد الأمهات والفتيات على المشعوذين "قلة الوعي الثقافي والديني واستخدام الطرق السهلة في المشكلات والاعتماد على الغير بتجاهل الأسباب الموضوعية بمحاولة

أهل الفتاة نفي المسؤولية عنهم ويعتبرون أن السبب خارج عن إرادتهم ويرجع لسحر أو ربط أو إصابة عين" (عبد الحكيم أسابيع، 2006، ص135)

قائمة المصادر والمراجع

- 1- حسن الساعاتي ولطفي عبد الحميد، دراسات في علم السكان، دار الجيل للطباعة، مصر 1962م.
- 2- سامية حسن الساعاتي، علم اجتماع المرأة رؤية معاصرة لأهم قضاياها، جمعية الرعاية الفكرية، مصر، 2003م.
- 3- عائدة أحمد الرواجبة، مفاهيم خاطئة حول الزواج، دار الأمير، الأردن، ب س.
- 4- عبد الحكيم أسابيع، العنوسة تهدد الأسر العربية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2006م.
- 5- عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية النساء، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2004م.
- 6- عبد المنعم عثمان عبد الله، العنوسة أسبابها أثارها علاجها، دار الأفاق العربية مصر، 2005م.
- 7- عمر معنى خليل، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1994م.
- 8- فريدريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، لبنان، 1993م.